

إمضاء ميت

محمد رجب

محمد رجب إمضاء ميت رواية



اسم الكتاب: إمضاء ميت

المؤلف: محمد رجب

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

مراجعة لغوية وتنسيق: سارة صلاح

رقم الإيداع:

يصدر عن: الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع

رقم الطبعة: الطبعة الأولى/ ٢٠١٤

إشراف عام: محمد المصري

مدير النشر	مدير التوزيع
عمر عودة	عمر عباس
٠١١١١٥٢٩٠٢٩	٠١١٥٩٤٧٠٧٧٧



العنوان: ٥٠ شارع عثمان محرم، الطالبية، هرم.

ت: ٠١١١١٥٢٩٠٢٩/ ٠١٢٢١٠٦٤٦٦٢/ ٠٢٢٥٦٢٢٧٤٣

https//www.facebook.com/dar.elrsm.blklemat

إمضاء ميِّتَ

محمد رجب

رواية



دار الرسم بالكلمات

(الحرب العصرية هي أن تجعل خصمك يقتل نفسه بنفسه بدلاً من أن تكلف نفسك بمشقة قتله).

د.مصطفي محمود

(١)

الأصوات كثيرة متداخلة.. قد تصلك منها همهمات غير مفهومة أو ضحكة عالية أو اسم لاعب أو مغني مشهور.

هذا هو الحال في مُدرَّج كلية الصيدلة جامعة القاهرة، صخب دائم قبل محاضرات الفرقة الثالثة.

بين كل ذلك تجد «علياء» تلك الفتاة التي تجلس في الصف الثاني وتضع سماعة أذنيها وتقرأ في رواية أمامها.. تتوقف الموسيقي لوصول رسالة لهاتفها.. تبتسم فهي تنتظر هذه الرسالة وتعرف مضمونها.. تفتحها: "آسفة على التأخير.. في الطريق"

تلك الرسالة كانت من «نور» صديقتها دائمة التأخير.

تنظر علياء في ساعتها لتجدها ٩:٥٠ فتأمل أن تصل نور سريعًا قبل أن يأتي دكتور يوسف فهو لا يتأخر ولا يسمح بالدخول لأحدٍ من المتأخرين.. تصل نور بعد ذلك بخمس دقائق.. تتبادلان السلام ثم يدخل الدكتور «يوسف» بعدها..

الدكتور «يوسف حمدان» هو دكتور وعالم في مجال العقاقير والكيمياء الطبية.. قد يتبادر لذهنك بعد استعمالنا لفظ(عالِم) أنه شخص طويل ونحيف ذو عينين غائرتين تحت نظارة صغيرة وذقن خفيفة ودائم التلفت في كل الاتجاهات.. قد تظن أنه لا يعتني بمظهره وأنه غامض ولا يتكلم كثيرًا.. أيًا كان من زرع هذه الصورة في أذهاننا فقد ظلم الكثير من العلماء.. ولكنه كان منصفًا مع الدكتور يوسف. فهذا ما هو عليه بالضبط.. ينظر في ساعته تلك الساعة الصغيرة ذات اللون الذهبي التي لا تفارقه.. فإذا بها العاشرة تمامًا..

يشير لأحدهم ليغلق أبواب المدرج.. ويبدأ المحاضرة كانت المحاضرة في مادة الكيمياء الطبية وسأوفر لنا الوقت ولن أصف ما قيل في المحاضرة.. وإن وصفت لك فلن تفك طلاسمها.

انتهت المحاضرة أخيرًا الساعة الثانية عشر.. فيجمع الدكتور أشياءه في حقيبته ويهم بالانصراف ولكن قبل أن يخرج..

يقول صوت من آخر المدرج: لو سمحت يا دكتور ما هي إجابة سؤال الأسبوع الماضي؟

فيبتسم الدكتور: لقد كان صعبًا، ولكني واثق أن أحدهم قد أجابه.. هل سيذكرني أحد بالجملة؟

فيقول أحد الطلاب:الحب يسع الأجانب (حكمة).

يسأل دكتور يوسف(مبتسمًا): من أجاب عليه؟

ترفع علياء يدها من ضمن القِلَّة التي تمكنت من الإجابة، كما أنها الوحيدة التي أجابت سؤال الأسبوع السابق أيضًا.

وقف الدكتور قليلًا ينظر لعيون الطلاب المتعلقة عليه بتركيز، لقد كان شغفهم بمعرفة الحل بادٍ على وجوههم ولا توجد لحظة يشعر فيها الدكتور بالنشوة أكثر من تلك اللحظة، فهو على الرغم من تواصله مع الطلبة وتواضعه معهم يجد حاجزًا بينه وبينهم لا يستطيع كسره أبدًا.. ولكنه في تلك اللحظة دائمًا يشعر أنه استطاع أن يكسره.. لقد أحبَّ تلك الأسئلة أكثر منهم.

أشار لعلياء مؤذِنًا لها بالإجابة، فقالت(بسرعة):

-السعي باب النجاح.

الدكتور: صحيح.

(لحظة هدوء ثم صخب في المدرج)يقطعه الدكتور:

-لا يوجد أسئلة هذا الأسبوع للتفرغ لامتحانات نصف العام، لقد اقتربت.

قالها وانصرف.

والأسئلة هي أسئلة "جناس صحفي" وهي لمن لا يعرفها هي إعادة ترتيب حروف جملة لا تعطي معنى أو فائدة للحصول على جملة ذات معني وفائدة. قد تسأل ما علاقة دكتور في كلية الصيدلة وعالم عقاقير وكيمياء حيوية بذلك النوع من الأسئلة..

حسنا.. لك الحق في أن تسأل هذا السؤال.. ولكن موضوع تلك الأسئلة قد بدأ في حفل الترحيب بالطلبة أول العام وقد تمَّت دعوته مع باقي لأساتذة..

وتفاعل كل دكتور مع الطلبة عن طريق إلقاء أسئلة أو لعبة خفيفة..حتي جاء دوره فلم يجد إلا "الجناس الصحفي" ومن وقتها وقد تعلق الطلبة بهذا النوع من الأسئلة.

*****

بعد المحاضرة تذهب علياء ونور لمكتب الدكتور ليسألونه عن بعض مما لم فهماه في المحاضرة.. فيرحب بهما ويشرح لهما، ثم فجأة وبدون أية قدمات يستأذن ويذهب ويتركهما في المكتب.

وقبل أن تخرج نور، تجد محفظة على الأرض فتفتحها وتمسك البطاقة تنفجر ضاحكة بسبب صورة البطاقة، تلك الوصمة في حياة كل من أكمل الستة عشر عامًا. تختطف علياء المحفظة من نور وتقول :

–حسنًا.. سنترك المحفظة وننصرف.

– وإن سُرِقَت؟

– من سيسرقها؟ سنتركها في مكتبه كما كانت.

– قد يسرقها أحد العاملين أو الطلبة.. فالدكتور لا يغلق مكتبه عندما ينصرف.. إنَّ المحفظة تحتوي كل أوراق الدكتور الشخصية.. ستكون مشكلة إن ضاعت أو سُرِقَت.

– حسنًا.. ما اقتراحك؟

– حسنًا.. اقترح أن نذهب لمنزل الدكتور ونعطيها لبوَّاب العمارة ليعطيها له.

علياء(بعد تفكير):

-حسنًا.. سنتقابل اليوم السادسة مساء في (....) لنذهب له.

- حسنًا.. اتفقنا.

*****

الساعة السادسة هاتف علياء يرن.. تتصل بها نور، ترد بسرعة:

-أين أنتِ؟

فترد عليها نور معتذرة:

- متأسفة لن أتمكن من الذهاب.- ماذا؟! أنا في طريقي إليكِ.

- لقد أتي والدي من السفر وسنذهب لاستقباله في المطار الآن.

- لماذا اتفقت معي إذًا؟

- لقد كان من المفترض أن يأتي الساعة التاسعة، ولكنه استطاع أن يأتي مبكرًا.. ولم يخبرنا ليفاجئنا.

- هذا لحسن حظي.

نور ضاحكة:

-فلنؤجلها للغد.

- أنا في الطريق ولن أرجع، سأذهب وأعطيها للبواب وحدي.

- كما تريدين.. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

*****

تصل علياء إلى العنوان الموجود في البطاقة.. تسأل عن المنزل فيدلهما أحدهم أنها الشقة الوحيدة المسكونة في هذه العمارة وبالطبع لا يوجد بواب.. تتردد ثم تقرر أن تصعد له وتعطيه المحفظة.

تطرق الباب فيفتح جزءً من الباب.. لا ترى منه سوى وجه الدكتور ويده

الممسكة بالباب وتلك الساعة الذهبية الصغيرة عليها.قالت له علياء بارتباك:

-حضرتك...

الدكتورمقاطعًا:

-علياء!!

-لقد وجدت محفظة في المكتب هذا الصباح و... الدكتور(مقاطعا مجددًا):

-ليست لي.. شكرًا.

-ولكن بطاق...

لم تستطع أن تكمل جملتها، فقد أغلق الباب في وجهها.. فقد سمعت صوت المزلاج أو ما شابه يُغلَق من الخلف بعنف. حدَّثت عليها نفسها قائلة: "لقد علمت أنك أكثر من أستاذ".

*****

في طريق العودة تتصل علياء بنور..

ترد نور:

-حسنًا.. هل تُمت المهمة؟

- أريد أن أراكِ.

-حسنًا.. نتقابل غدًا.

- بل أقصد أريد أن أراكِ الآن.

-إننا في طريقنا للمطار الآن.. لن يمكن أن نتقابل حتى الغد.

- لقد رأيت شيئًا في شقة الدكتور.

نور باهتمام:

-ما هو؟

- لستُ واثقة مما رأيت، ولكني بحاجة لأن أقابلك.

-حسنًا.. غدًا سآتي إليكِ.

- لا تتأخري.

- حسنًا.. سآتي.

***

(٢)

في منزل علياء في صباح اليوم التالي، تجلس هي ونور سويًّا، تبدأ علياء الحديث قائلة:

- ليتنا كنا سويًّا لتساعديني على وصف ما رأيت.

-لقد فهمت من حديثكِ ما رأيت.. دكتور كيمياء ورأيتِ في منزله دخان ناتج من تجربة كيميائية.. ماذا في ذلك؟

علياء(بنفاذ صبر):

-ركزي قليلًا.. لقد أجرينا العديد من التجارب ودخلنا المعمل مئات المرات وأستطيع أن أخبركِ بكل تأكيد أن هذا الدخان لم يكن عاديًا على الإطلاق.

نور: لقد قلتي انه لم يفتح الباب كليا.

- صحيح.. لم يفتح الباب كليا ومع ذلك رأيت ذلك الكم من الدخان.. ذلك يدل على أنه كان كثيفًا جدًا.

-لم يكذب في شيء، فعندما دخل المدرَّج أول مرة قدَّم نفسه كدكتور وعالم كيمياء حيوية وعقاقير ماذا في ذلك؟

- إنه لا يمتلك مالًا ليكون لديه معمل في بيته.. إنه لم يغير بدلته منذ سنتين.

نورضاحكة:

- وأيضًا سيارته يُضرَب بها المثل في الصبر.

- من أين له المعمل؟ بل من أين له عمارة كاملة؟ والأهم من هذا وذاك ما أمر المحفظة؟ لماذا أنكرها؟؟

- حسنًا.. هذا ما أراه غريبًا.

-إنه يخبئ لغزًا ما.. أظنه لغزًا كبيرًا.

نور بتشكيك:

-وهل تريدين أن تعرفي ما هو اللغز؟

- بالطبع.. هل لديك فكرة كيف نعرف؟

-لا أعلم.. ولكن لماذا لم نفكر من قبل في معرفة فيم كانت رسالة الدكتوراة الخاصة به.

- صحيح...سيفسر ذلك الكثير...ولكن كيف نعرف؟

- سمعت أن موقع الجامعة يوفر بعض المعلومات عن الدكاترة والأساتذة...فلنرى.

*****

بعد البحث تقول نور:

-إن الموقع لا يوفر معلومات عن كل طاقم التدريس.. فقط مجموعة منهم.

-لنجرب حظنا.

- إنه هنا...ما معنى هذا؟!!

علياء(تقرأ المكتوب أمام اسمه): "دكتوراه عملية"

- هذا يعني انه اخترع شيئًا ما؟؟

- قلت لك...إنه أكبر من مجرد أستاذ جامعة.

- لنجري بحثًا عنه.

-أعطني هذا لأجرب. (وأخذت "اللاب توب" منها)

دخلت على محرك بحث مشهور وكتبت:"د.يوسف حمدان"

ضغطت زر الإدخال، وجدت موسوعة علمية شهيرة غالبًا ما تستعين بها في أبحاثها العلمية ضمن أوائل النتائج.. ضغطت عليها لتُفتح نافذة مكتوب بها: "دكتور يوسف حمدان محمد علي، ولد في ... "

واستمرت سيرته الذاتية حتي وجدتا عنوانًا فرعيًا

"اختراعاته"

"اخترع الدكتور يوسف العديد من الفيروسات والمضادات لها أثناء عمله في مصر، وكذلك أثناء سفره لروسيا.. ولكن يبقي أكبر اختراعاته اكتشاف يسبب (متلازمة ستوكهولم) لفترة زمنية معينة والمضاد له... "

نور(بعدم فهم): ما هذه المتلازمة؟

علياء(وهي تفتح صفحة بحث): شيء جديد لدرجة أننا لا نعلمه.. أو خطير لدرجة أننا لم نقابل مصابًا به.

وكتبت في صندوق البحث:"متلازمة ستوكهولم"، ودخلت على أولى النتائج وكانت في نفس الموسوعة:

"متلازمة ستوكهولم هو مصطلح يطلق على الحالة النفسية التي تصيب الفرد عندما يتعاطف أو يتعاون مع عدوه أو من أساء إليه بشكل من الأشكال، أو يظهر بعض علامات الولاء له مثل أن يتعاطف المخطوف مع المُختَطِف.

أُطلِقَ على هذه الحالة اسم "متلازمة ستوكهولم" نسبة إلى حادثة حدثت في ستوكهولم في السويد حيث سطا هناك مجموعة من اللصوص على بنك "كريديتبانكين" واتخذوا بعضًا من موظفي البنك رهائن لمدة ستة أيام عام ١٩٧٦. في خلال تلك الفترة بدأ الرهائن يرتبطون عاطفيًا بالجناة، وقاموا بالدفاع عنهم بعد إطلاق سراحهم.

وقت قليل من الوجوم.. ثم بدأت نور بالتساؤلات بسرعة لدرجة لا تسمح لعلياء بالإجابة حتى.

*****

بعد أن استطاعت علياء أن تشرح لنور ما استطاعت هي فهمه.. سألت نور:

-ولكني لا أفهم ما أهمية فيروس كهذا أساسًا؟.. ماذا يجعل شركة صينية تشتريه بمبلغ ١٢ مليون دولار وهو تحت التجربة؟

– تصوري أن الدولة أو أيًا كان من يحمل هذا الفيروس استطاع أن يوصله لكِ..

سوف تصبحين مِلكًا له حرفيا.. فهو قد يفعل أي شيء بكِ ومع ذلك لا تعترضين ولا تشتكين.. بل تدافعي عنه ضد من يشتكيه.. والسؤال ليس هكذا.. بل قولي دكتور يوسف الذي لا يملك ثمن بدلة جديدة ماذا فعل بال١٢ مليون دولار.

– سؤال منطقي..

– نحن لا نعلم الكثير.. ولكننا نعلم أن الدكتور ليس جيدًا كما يبدو للناس.

– لنواجهه في الكلية .. سيعلم الجميع حقيقته.

– سنفكر فيما سنفعل.

–بدون تفكير.. يجب أن يعلم الجميع حقيقته.. يجب أن يعلموا أنه شخص بدون ضمير.

–حسنًا.. ولكن سنفكر في طريقة لفعل ذلك.

***

(٢)

أمام عمارة الدكتور..

الجو مضطرب وازدحام شديد.. ما بين مشاهدين وسيارات إسعاف ومطافئ، الكل يشاهد ذلك الحريق في العمارة.. وما إن تهدأ النار حتي يحدث انفجار آخر فيها.. ويقف الناس بين متحمس للمنظر ومستمتع وبين خائف ومشفق..

من بين هؤلاء تجد شابًا في الثلاثينات من عمره يدعى عبد الرحمن، بجلبابه الأبيض يدمع في وقارٍ يلائم لحيته الطويلة وهو يشاهد الجثة وينظر للساعة التي ذابت مع الجلد وأصبحا كيانًا واحدًا..

قبل أن تُغطَّى وتُسحَب من أمامه.. ينظر في انعدام وعي لـ «سيف المصري» ضابط المباحث وهو يسأله: سيف(وهو يشعل سيجارة جديدة):

-هل هو دكتور يوسف حمدان؟

يكتفي عبد الرحمن بإيماءة من رأسه، فيؤكد سيف:

-واثق؟ إن الجثة مشوهة من الحريق تمامًا..

(يرن هاتف سيف الخاص فيجيب بسرعة ويبدو عليه الاهتمام)

سيف(يتكلم في الهاتف وينتظر ليسمع محدثه ثم يكلمه):حسنًا.. أنا أمام المنزل.. نعم.. يوسف.. لقد مات.. لقد انتهى الأمر.. لا.. لا يوجد أية خطورة، لا تقلق.

(ثم يغلق الخط وينظر لعبد الرحمن ويسأله):هل أنت متأكد من كونه هو؟

-إن العمارة كانت ملكه ولا يسكنها غيره.. وكذلك يكفي النظر ليده لترى ساعته التي لم تفارقه يومًا.. لا حول ولا قوة إلا بالله.

-أعلم أنك كنت صديقه الوحيد.. ولكننا في حاجة للتأكد من كونه هو.

-إنه هو.. أنا متأكد.

سيف(يشعل سيجارة): حسنًا.. ستأتي لي غدًا لنكمل الإجراءات.

يومئ عبد الرحمن وينصرف.. بينما يشعل سيف سيجارة جديدة.

*****

ينادي سيف مسئول قوة المطافئ الموجودة:

-متى ستنتهي هذه الفوضى؟

- لا نعلم.. فكلما سيطرنا على الحريق اشتعل من جديد.. فهو حريق كيميائي.

- حسنًا.. إنها ليست المرة الأولى لك لتقف أمام حريق كيميائي.. متى سينتهي؟

- لا أعلم حقًا.. إنني قد تصديت لحرائق بمصانع كيميائية ولكنني لم أرَ أبدًا مثل هذا.. كمية الانفجارات توحي بأن صاحب العمارة يحضر المتفجرات كهواية بعد أن ينتهي من عمله (ويضحك).

(ينظر له سيف نظرة جدية ويرمي سيجارته على الأرض):

-أريد أن ننتهي بسرعة..

(وينصرف من أمامه).

***

(٤)

لم تذهب نور أو علياء للكلية ليومين منذ الحادثة.. وقد اتفقتا أيضًا على ألا تحكيان ما عرفتا لأحد.. فهو رجل شرير ولكنه أيضًا رجل ميت.

فلتتركا من يريد أن يحزن عليه يحزن.. من يريد أن يعدد صفاته الحميدة فليفعل لن تمنعان أحدًا من البكاء على الأستاذ القدوة.. لن تفضحاه، فالأمر اختلف الآن.

بل ستحزنان أيضًا عليه.. فللميت حرمته.

وبالفعل قد حزنتا .. ولم تأتيا بذِكر المحفظة التي أخذتها نور من علياء لاحقًا لأحدٍ، ولم تفسران ما اكتشفتا لأحد.. ظلّ الأمر بينهما.

*****

وفي صباح اليوم الثالث بعد موته.. كانت تتحدث علياء لنور في الهاتف حتي نفذت البطارية فذهبت علياء للتليفون الأرضي ليتحدثا به.. وقد رن الهاتف وهي ذاهبة إليه.. ترد علياء معتذرة:

-لقد نفذت البطارية اعتذر (معتقدة أن الاتصال من نور).

فيرد عليها صوت خشن:

-هل أتحدث مع علياء مصطفى السيد؟

علياء(بارتباك):

-نعم.. من معي؟

فيرد نفس الصوت:

-الرائد سيف المصري.. مباحث عامة.

علياء(بوجوم):

-ماذا؟.. ماذا حدث؟؟

-لا تقلقي.. أردت فقط أن نتحدث قليلًا ولم أرِد أن أرسل لك سيارة شرطة. فأنا أعلم ما تسببه أضواء سيارات الشرطة من إحراج.

-لماذا؟ ماذا حدث؟

-أراكِ غدًا.. في العاشرة.. إلى اللقاء (ويغلق الخط).

*****

تتصل بعدها علياء بنور وتحكي لها ما حدث وكيف طلب الضابط أن يتقابلا..

فتحاول نور طمأنتها.. ولكنها تفشل.

*****

في مساء نفس اليوم..

يجلس الشيخ عبد الرحمن بعد صلاة العشاء في المسجد يقرأ وِرده اليومي من القرآن.. فهو – ما شاء الله– محافظ على قراءة نصف جزء من القران يوميًا في نفس الميعاد بعد صلاة العشاء، ولم يقطع ذلك الوِرد يومًا منذ أن بدأه منذ حوالي أربع سنوات..

لم يقطعه حتى منذ يومين عندما توفي صديقه يوسف حمدان.

***

(٥)

تدخل علياء إلى مكتب سيف بعد أن سمح لها العسكري الواقف أمام المكتب..

سيف(مبتسمًا):

-أهلًا بك.. ماذا تشربين؟

-لا شيء، شكرًا..

يرن الجرس فيأتي العسكري ويقول: اثنين قهوة.. أرى أنك لم تنامي(موجهًا كلامه لها).

- نعم، لم أنم جيدًا الليلة السابقة وكيف أنام و...

سيف(مقاطعًا وبلهجة جادة):

-أهذا لأنكِ قتلتِ دكتور يوسف؟

(قالت مرتبكة أو قل ارتبكت فقالت): ماذا تقول.. لا يمكن أن..

سيف(مقاطعا بشيء من السماجة):

-أعلم أنك لم تقتليه، إنني أمزح فقط (انفجر ضاحكًا).. فقط أردت أن نتحادث قليلًا كما قلت لك مسبقًا.

اسمعيني جيدًا، الوضع كالتالي.. قام يتمشى بهدوء ويشعل سيجاراته كأنه في عرض مسرحي، ثم أكمل:

- إن الدكتور يوسف رجل غريب حقًا، فهو امتلك الكثير من المال وبدلًا من أن يشتري سيارة ويتزوج حسناء.. اشترى عمارة حولها لمعمل كيميائي..

أكمل (ضاحكًا): ورجل غريب كهذا لا يموت إلا ميتة غريبة فهو مات محروقًا في شقة في الطابق الأول على الرغم من أن بابها كان مفتوحًا، ألم يستطع الهرب منه؟.. ألم يستطع القفز من النافذة؟.. بل إن الطابق الأول مهجور وشقته بالطابق الثالث ماذا دفعه للبقاء في الطابق الأول من الأساس؟

-يمكن أن...

رفع يده بحزم فابتلعت كلامها، وأكمل هو قائلًا:

-لقد شككت في ميتته.. وأجريت تحرياتي وقد عرفت أنك قد ذهبتِ إلى شقته في اليوم السابق للحادثة في حوالي السادسة والنصف مساءً..

-لقد كنت أعيد له محفظته لقد...

سيف(مقاطعًا):

-احكي لي بالتفصيل أرجوكِ.. فكما تعلمين "الشيطان يسكن في التفاصيل".. واعلمي أن القضية قد انتهت على أنها حادثة ولكني أتحدى نفسي ليس إلا..

وإن كان هناك شُبهة جنائية فأتوقع ألا تكوني مشتبهتنا.

قالت: سأحكي كل شيء.

*****

بعد انتهت من حكاية ما حدث منذ أن ذهبت للدكتور في مكتبه وحتى عادت من منزله.. وكانت منهارة من البكاء وصوتها متقطع، قال سيف بابتسامة:

-لا عليكِ.. وأيًا كان ذلك لا يثبت أي شبهة جنائية.. ولكنه يثير فضولي أكثر.

وأمر العسكري بإحضار عصير ليمون لها.. وتركها وحدها في المكتب وقال لها انتظري حتى تتمالكي نفسكِ وانصرفي.

تجلس وحدها وتشرب عصيرها بيدين مرتجفتين حتى يرن هاتفها فترد بسرعة.. تجد أن أمها تخبرها بأن هناك طرد قد جاء باسمها للمنزل، وأنه لا يمكن استلام الطرد بدون وجودها.

تذهب علياء على الفور للمنزل لترى الطرد.. وتفكر في سلسلة الأحداث الغريبة التي حدثت لها اليوم.. في الصباح تذهب للقسم وبعدها يصلها طرد.. استغرقت في تفكيرها ونسيت جلستها المرعبة مع الضابط وبدأت في تخمين ما في الطرد وهي في الطريق.

***

(٦)

تصل علياء للبيت وتجد أن نور قد وصلت قبلها بناء على اتصال أجرته علياء معها..

قد تصورت علياء طوال الطريق أن الطرد حسب خبرتها السابقة من الأفلام لا بد أن يكون صندوقًا متوسط الحجم بغلاف باهت اللون..

ولكن الحقيقة اختلفت كثيرًا.. لقد وجدت سيارة شركة خاصة تقوم بعمل يشبه البريد حيث تصل الطرود إلى أي مكان في الجمهورية بمقابل مادي..

وأعطاها العامل بعد أن رأى إثبات الشخصية ظرفًا أصفر من الورق المقوى، وبعد أن وقَّعَت الاستلام تركها ورحل..

سألتها أمها عن هذا الطرد.. فأجابت بأنه ليس شيئًا هامًا وستخبرها به لاحقًا.

دخلت غرفتها هي ونور.. فتحت الظرف ووجدت أسطوانة وورقة مكتوب فيها:

"جاءك من يوسف حمدان (رحمه الله) كنت أؤجل توصيل هذا الطرد يوميًا.. ليصلك بعد موتي بثلاثة أيام.. أرجو أن يصلك في الموعد..

إمضاء ميت".

نظرات عدم فهم بين نور وعلياء.. تقترح نور مشاهدة الأسطوانة.. فتقوم علياء بإحضار "اللاب توب" الخاص بها وتضع به الأسطوانة.. لم تجدا سوى مقطع صوتي واحد..

وكان صوت الدكتور.

*****

في نفس الوقت في مكتب سيف.. يجلس سيف غارقًا في بحرٍ من الأوراق أمامه..

يقول: إذن لقد كان أكبر من مجرد أستاذ جامعة.

يسأله ملازم أول علاء:

-ماذا تقصد؟

سيف(وهو يمسك الورق):

-اسمع..

"وقد أتى من بلدته إلى القاهرة ليلتحق بكلية الصيدلة.. وبعد أن أتم دراسته تم تعيينه كمعيد في الجامعة.. وبعد سنتين سافر إلى روسيا لتحضير رسالة الدكتوراه..

ولكنه بقي هناك ما يقرب من عشر سنوات، اخترع فيها العديد من مضادات الفيروسات والاختراعات الحلبية، ولكن أهم اختراعاته مسبِّب "متلازمة

ستوكهولم"، والمضاد له، وباعه لشركة صينية بمبلغ ١٢ مليون دولار على ألا يتخطى إنتاجه السنوي نسبة معينة.. "

(يثني سيف الأوراق التي كان يقرأ منها): أظن أن موته لم يكن صدفة.

سأله علاء:

-وماذا تقترح؟

-أريدك أن تنزل إلى الحي وأجلس في المقهى الذي أمام بيته وانقل لي ما يجري..

أظن أن لأحدهم قد رأى شيئًا.

-تمام.

*****

تسمع نور وعلياء صوت الدكتور قائلًا: *"السلام عليكم.. أعلم أنني ميت، وأعلم أن الموتى لا يعودون للحياة(بلهجة ضاحكة). لا تقلقي، أنا بالفعل ميت.. وكنت يوميًا أؤجل إرسال هذا الطرد لمدة ثلاث أيام.. وها قد وصلك.. لا أعلم كيف مت فقد أكون غرقت أو حرقت أو حتى لم يجدوا جثتي.. ولكني أعلم أنني قد قُتلت.. لا أعلم إن أثارت قضيتي الرأي العام.. أرى أنهم إن دققوا في الماضي سوف يرون الكثير مما يحب الناس أن ترى.. لا أعلم إن علمت شيئًا مما اخترعت.. ولكن أيًا كان ما وصلك فهو ليس أخطرهم.. وأيًا كان ما صنعت فهو قد تم رغم إرادتي.. قد تتساءلي لماذا أرسلت إليك هذا..*

(يسكت قليلًا ليفكر في وصف مناسب).. فلنقل الخطاب.. لكنكِ سوف تفهمين، كل شيء عندما تذهبين أمام منزلي اليوم في الساعة العاشرة مساءً..

(يضحك ويقول) قد تنقذين العالم دون أن تدري"

بعدها توقف الصوت.

*****

تنظران لبعضهما البعض.. ثم تحدثت نور:

–لا تخبريني أنكِ تفكرين في شيء سوى تسليم هذه الأسطوانة للشرطة.

– حسنًا.. إنني أفكر بالذهاب حيث..

نور(مقاطعة بحدة):

–لا يمكن أن تكوني جادة.. لن تذهبي لأي مكان.. ستسلمين ذلك للشرطة، ولن تخاطري بالذهاب هناك.

– سنذهب لنري قد نكون قد ظلمناه

– وإن ظلمناه هل سيكفِّر ذهابنا ظلمنا له؟

– إنها وصية ميت واجبة التنفيذ.

– ولكنه ليس ميتًا عاد...

علياء(مقاطعة):

–أظنك تضخمين الموضوع.

نور(بانفعال):

-أضخّم ماذا؟.. عالم غامض لا نعلم إن كان فاسدًا أم لا.. ولكنه اخترع اختراعات مُهلِكة..

وبعد أن مات محروقًا يرسل لكِ رسالة لتذهبي لمكان معين.. فيكون رد فعلك أنك توافقين على الذهاب.

- حسنًا.. اهدئي.

- لن أهدأ حتى تخبريني بأنك لن تذهبي.

- حسنًا.. سأفكر جديًا بعدم الذهاب.

- بل أخبريني أنكِ لن تذهبي.

علياء(بانفعال):

-حسنًا.. لن أذهب.

***

(٧)

بعد صلاة العشاء..

يجلس الشيخ عبد الرحمن مسندًا ظهره للمنبر يقرأ وِرده اليومي في مصحفه الخاص..

وفي وسط القراءة يقلب الصفحة ليجد ورقة صغيرة مطوية داخل المصحف..

صدَق وفتح الورقة ليقرأها والدهشة تعتريه:

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

من يوسف حمدان(رحمه الله).. أعلم أنني مت.. بل قُتِلت إن شئت الدقة.. وأعلم أنني عُذّبت قبل قتلي.. ذلك كل ما أعلمه.. لكني لا أعلم إن قلت لهم ما يريدون.. لكن وإن قلت لهم.. فهناك فرصة لتنقذ ما تبقى.

أنت صديقي الوحيد وتعرف كل شيء أو ذلك ما تظنه أنت.. لكني أخفيت عليك أمرًا واحدًا.. أمرًا حدث أثناء عملي في روسيا.. سوف تصلك "علياء" في الساعة العاشرة مساءً اليوم أمام منزلي.

سوف تحتاج إليها.. طالبة ذكية وستساعدك - إن أتت -.. بالمناسبة قد تسمع عني بعد موتي أشياء لا تتخيلها.. لكنك تعرفني فلا تصدقها..

وأتمنى أن يصلك ذلك في الموعد وألا تؤخر وِردك.. فقد كنت أضع هذا الجواب يوميًا بعد جزء ونصف من علامة توقفك في المصحف. قد تعتبرها وصية واجبة التنفيذ لكنها ليست كذلك.. فقد تنتهي إلى نفس نهايتي إن قررت مساعدتي، ولكنني أوصيك أن تفكر بعقلك لا بقلبك.. وركِّز في أفعالك وخطط جيدًا.. فالخطوة الأولى الأهم دائمًا.. فالسر يكمن في البدايات دائمًا،

وإن قررت مساعدتي.. فلا تكن مثل:

"فهم سعى خلال كتابة، مكان"..

فيقتصر دوره على همهمات مزعجة

أتمنى لك التوفيق

إمضاء ميت".

يمسح وجهه من الدموع ويعيد قراءته أكثر من مرة.. وفي كل مرة يتوقف عند الجزء الأخير فلا يفهمه.

*****

نور تتصل بعلياء.. أول ما ردَّت علياء تكلمت نور قائلة:

-أخبريني أنك لا زلتِ بالمنزل.

– حسنًا.. أنا بالمنزل.

– ولن تذهبي؟

- لست واثقة.

- لقد اتفقنا مسبقًا على عدم الذهاب.. الله وحده يعلم من ينتظرك هناك.

- ولكننا لا نعرف قد يكون..

نور (مقاطعة):

-ولا يفترض أن نعرف.. يجب أن تذهب للشرطة وتخبرهم.. ألم يستجوبك ذلك الرائد؟ لا تعندي فالذهاب ليس له فائدة..

علياء(مقاطعة بغضب):

-لن أذهب.. سلام.

- سلام.

تجلس علياء لتفكر بالأمر وتجد أن نور لها الحق في أن تخاف.. ولكنها لم تتحكم في فضولها وقررت خوض المغامرة.. تأخذ علياء الأسطوانة والرسالة وتضعهما في المظروف وتقنع والدتها أنها ذاهبة لنور لأنها مريضة وتنزل.

***